

## تزايد دور المقاتلين الشيشان في الحرب على سورية... الأسباب والدوافع

■ **حميدي العبدالله**

لوحظ في الآونة الأخيرة تصاعد دور المقاتلين الشيشان في الهجمات التي تتعرض لها مناطق في سورية، ولا سيما كسب ومدينة حلب. فالهجوم على كسب قاده ما يعرف بـ«أبو موسى الشيشاني»، أحد أبرز قادة النصرة. والهجوم في مدينة حلب، خاصة الذي استهدف مقر الاستخبارات الجوية أيضاً، قاده شيشانيون يحتلون مراكز قيادية في التنظيمات المسلحة، تحديداً التنظيمات التابعة لتنظيم القاعدة.

هذا الدور المتصاعد للمقاتلين الشيشان في القتال الدائر في سورية يتطوي على معانٍ ودلالات ذات تأثير كبير في مجرى الصراعِ وفي فهم حقيقة ما يحصل الآن في سورية ميدانياً.

أولى الدلالات أن الشباب السوري الذي انخرط في المعارضة المسلحة في السنوات الماضية وحمل راية القتال ضد الجيش السوري وضد الدولة السورية، متأثراً بما حصل ويحصل في البلاد العربية، يراجع حساباته اليوم ويتخلى عن حمل البندقية، بعضه عاد إلى كنف الدولة، فتجاوز عدد المسلحين الذين تخلّوا عن حمل السلاح وسويت أوضاعهم وعادوا إلى الخدمة العسكرية في الجيش العربي السوري، عشرين ألفاً، وبعضهم الآخر هاجر إلى خارج سورية، والبعض الثالث عاد إلى عمله الذي كان يقوم به قبل حمل السلاح. هذا التراجع في عدد حاملي السلاح من السوريين ترك فراغاً في ضوء اتساع الجبهات التي فتحت لإشغال الجيش العربي السوري وتشثيت قواه حيثما أوصت الدوائر الاستخبارية الغربية، ونفذت عبر غرف العمليات المشتركة التي توجه الجماعات المسلحة في الدول المجاورة نحو سورية، ويستلزم سد هذا الفراغ الاستعانة بعناصر أجنبية.

ثاني الدلالات أن كثيراً من المقاتلين العرب الذي جاؤوا من تونس وليبيا والسعودية والكويت وبعض الدول الخليجية الأخرى، عاد بعضهم إلى بلاده بعدما اكتشف زيف الشعارات التي كان يتغنّى بها المسلحون، خاصة التنظيمات «الجهادية»، وتحديداً بعد اندلاع المواجهات المسلحة بين تنظيمات القاعدة. أما البعض الآخر المستمر في القتال فلا يمثل العدد الكافي لتغطية كامل الجبهات التي فتحت عندما

## حلب «صفقة الصفقات» أم أمّ المعارك؟

■ **طاهر محي الدين**

إلى أهلي في سورية وفي حلب تحديداً، في ظل مختلف أنواع التحريض الإعلامي والمذهبي والمناطقى والطائفي، التي عمّل ولا يزال يُعمل عليها يومياً لإثارة الشحنة والكراهية وإذكاء الشعور لدى أهالي مدينة حلب الشهداء بأن الدولة تركتهم لمصيرهم المظلم والمؤلم، وأنها ستستعملهم في صفقة مالمبا،النظام، وإن الدولة اتكرت وجحدت صمودهم الأسطوري الكبير الذي سيسطر له التاريخ ويكتب له موسوعات ومجلدات، وأن هذا النظام يصب اهتمامه فحسب على دمشق والساحل، ذاك الساحل الذي معظم قاطنيه من «طائفة معينة». وأن حلب هذه التي كانت ذات يوم تلبس السوريين وتضع معظم حوائجهم، باتت تترك اهتمامات الدولة والقيادة... والكثير الكثير من تلك المعاني الفتوية الطائفية المذهبية الغبضة.

أما تبين لكم اليوم يا أهالي حلب الشرفاء أن حلب هي عين الدولة وقلبها، وأن القيادة ما كانت لتترككم وحيدين، وأن هذا النظام فيه من الوفاء ما يكفي لتركوا في قلبه وقبلة وضمته اهتمامه، وأن هذا النظام الذي أركع عناة الاستكبار العالمي هو أذكى من أن يفرط بلحب والوطنية تعد بوابة العبور وصلة الوصل بينه وبين أوروبا والعالم الغربي كله؟ أما ظهر لكم أن هذا النظام أدرخ لمعركة حلب «أم المعارك، أخبر وأمهر وأشجع قادة جيشه ليظهر حلب من رجس الإرهاب والارهابيين وبقابل خسارة ممكنة. وأنه استخدم جميع

الوسائل لإيصال المعونات الغذائية والدوائية عبر طريق فتحه بأجساد شهدائه من أبناء جيش الوطن الجيد العربي السوري. فليعلم أهلي في حلب الشهباء أن هذه الأيام القليلة المقبلة ستشهد من حلب انتصارات متتالية عند طلوع فجر كل صباح وعند أقول شمس كل مغيب. أكمّنتي مثلما أمت الكثير من السوريين صور الدمار والخراب والإرهاب التي لحت بحلب أم التاريخ. ولكن يؤلم أكثر أن يصدر كلام من أهلي في مدينة حلب، أهل الصمود والوفاء والشموخ، كلام لا يرقى حتى إلى الجنون أو فقدان العقل وفجواه أن القيادة السورية تترك حلب تحت ضربات الإرهاب والتدمير ووطاة الذل والمهانة وتتركها ورثة أخيرة للبيع ضمن مقاضات في حال وجد النظام نفسه في زاوية ضيقة أو قاب قوسين من الانهزام، وعندئذ يقدم حلب ورقة تقاوض ليضمن بقاؤه.

يا أيها السادة، يا أيها العقلاء، يا أيها الشرفاء، يا أهالي حلب الأوفياء، يا أمهات وآباء الشهداء، يا من رسمتم أكبر وأروع وأغلى لوحات

## البناء

## السلاح الكيماوي... الإسطوانة المشروخة!

■ **محمد ح. الحاج**

تعتقد الغالبية من أبناء الشعب السوري أنّ استخدام السلاح الكيماوي من قبل العصابات المسلحة في خان العسل أو الغوطة الشرقية كان هدفه إثارة موضوع السلاح الكيماوي السوري الذي يشغل بال قادة الكيان الصهيوني، ويُعتبر سلاح ردع يوفر نوعاً من التوازن على المستوى الاستراتيجي، وكشفت ملباسات مصدر السلاح المستخدم، وكيفية إمراره، ومشاركة الأتراك في ذلك. وفي حين تدّعي المعارضة الخارجية العميلة أنّ سورية تنازلت عن سلاحها المهم، يتجاهلون أنهم كانوا الأداة التي وفرت الذريعة، وأنّ موافقة الحكومة السورية على الصّرخ الذي اقترحه حلفاء سورية وبينهم الروس والإيرانيون بعد توفير ضمانة قبلت بها سورية (ربما أسلحة نوعية متطورة) الأمر الذي أجهض المخطط الغربي وسحب الذريعة التي كانت الغطاء لهجوم أطلسي على الدولة السورية وما قد ينتجه من تداعيات الخراب والدمار، وهذا بطبيعة الحال أكبر بكثير مما يحصل الآن.

مجدداً يثار استخدام السلاح ذاته من قبل الجيش السوري، ما يدعو إلى الاستغراب والتساؤل: كيف يستخدم الجيش السوري أسلحة تحت رقابة مشدّدة ومراقبة بكلّ أنواع الأقسام العسكرية التجسّسية والعلماء المزروعين في كل مكان؟ بينما تتكشّف المشاركة الأميركية – التركية، الصهيونية أصلاً، في تسريب أسلحة متشابهة وصلت إلى أيدي العصابات الإرهابية التي لم ولا تتورّع عن استخدامها ضدّ المدنيين الأيمن، بل ضدّ بعضها البعض الأخر من منطلق التناقس على السيطرة والنفوذ وعمليات النهب، وأنّ هذه العصابات هي في أمسّ الحاجة في زمن الهزائم إلى مبررات تراجعتها وطلب الدعم

الخارجي والتدخل الدولي، وبالتالي هي التي توفر الذرائع، ومن غير المستبعد أن يهزّب الكيان الصهيوني ويوفر مقاذيف الأسلحة المختلفة بعد أن يضع عليها بصمة الصناعات السورية وأشكال العبوات نفسها بالغة الروسية أو العربية، وبحسب القاعدة التي ينتهجها قادة الكيان الصهيوني: أنّ تقتل عدوك فقد تشعر بالفرح، لكنك تفرح أكثر وأنت تراه يقتل بيد أخيه وهذا ما يحصل على الساحة السورية.

الحقد اليهودي على العالم ينطلق من شعور بالديونية والأقلية، ويعتبرون أنّ خسارة الفرد اليهودي يجب أن يقابله مئات بل حتى حدود الألف، والقاعدة الأساس في السلوك الصهيوني هي النثار، ولأنهم لم يتمكنوا من النثار بأيديهم لكصف «تل أبيب» من قبل العراق دفعوا بالتحالف الماسوني العالمي إلى غزو العراق وتدميره بإطلاق الصواريخ، ومن المؤكد مشاركة طيارين يهود وبالجنسية المزروجة في قصف العراق وتدمير بنيته... أما اليوم، وبعد إقرار قائد المقاومة اللبنانية السيد حسن نصر الله بأنّ الأسلحة التي هزم بها الجيش الصهيوني مصدرها سورية، وهذا ما أعلنت عنه قيادات العدو قبل ذلك، بات واضحاً سبب الهجوم العالمي على سورية ثأراً لهزيمة الصهيونية ومحاولة جادة لتدمير بنية الدولة التي تقف وحيدة إلى جانب المقاومة الحقيقية التي تقف في وجه استكمال المشروع الصهيوني والهيمنة الأميركية على منطقتنا، ويوضح أكثر المدى الذي وصلت إليه قيادات عربية ضالعة في خدمة المشروع الصهيوني النواطف وتأمّر على سورية، بذلك يكون التوصيف الجيد أنها مؤامرة صهيو –أميركية أطلسية – عربية لتدمير الشعب السوري مع استدراج بعض العناصر السورية واستخدامها في التغطية الضرورية للتضليل

## هل أصبحت أوكرانيا معضلة للأميركيين حين أرادوها ورقة ضاغطة على روسيا؟

■ **ميشيل حنا الحاج\***

الأميركيون يخطئون، على عابتهم دوماً، في تقييم الأمور، ولا يغوصون عميقاً في دراساتهم الاستراتيجية قبل الإقدام على تنفيذها. فقد أخطأوا في إيران عندما قدّروا أنّ تقديمهم الدعم إلى الاسلاميين ممثلين بأية الله خميني، سيأتي إيران بنظام يقا تل السوفيات (الكفرة) نياية عنهم، إذ سرعان ما انقلب الإيرانيون عليهم وتوجهوا لمناهضة الأميركيين عوضاً عن مقاتلة السوفيات.

الأمر ذاته وقع في أفغانستان. فعندما نجح الإسلاميون المتشددون المسلحون من قبل الأميركيين، في إخراج السوفيات من بلادهم، انقلبوا على الأميركيين الذين سلحوهم ودرّبوهم على فنون حرب العصابات.

الشيء ذاته تكرر في سورية. فقد شجعوا تركيا على فتح حدودها أمام المقاتلين القادمين من الخارج بتمويل وتسلّح خليجي، ليقاتلوا النظام السوري، فإذا بهم يقتلون في ما بينهم، ويسعون إلى إحلال نظام إرهابي متشدد محل نظام علماني، وهو نظام سيبادر إلى مقاتلة الأميركيين أنفسهم إذا استقر الأمر لهم، كما حصل في إيران وفي أفغانستان.

وها هو الأمر يتكرّر في أوكرانيا التي أشعلوا الفتنة فيها، لبشاعلوا بها الاتحاد الروسي، ساعين إلى تحقيق ثلاثة أهداف، كما اعتقدوا في دراساتهم المسلحة، وهي: أولاً) إبعاد الروس عن مطالبتهم بتكريس نظام تعدد القطب ليحل محل نظام القطب الواحد. ثانياً) إشغال روسيا عن القضية السورية والتخلي عن بعض طموحهم، بل طموح قدامى القياصرة، في الوصول برأ إلى البحر الأبيض المتوسط، مع إبعادهم أيضاً عن المياه الدافئة المتوافرة في البحرالأسود نتيجة ما ستؤدي إليه الثورة الأوكرانية من إلغاء اتفاقيه وجود الأسطول الروسي في ذاك البحر. ثالثاً) اكتساب أوكرانيا كسوق جديدة للسوق الأوروبية المشتركة، في خطوة تمهيدية لضمها إلى «حلف الناتو» وإحكام السيطرة على روسيا بتوسيع القبة الحديدية المحيطة بها والمناهضة لها.

لكن مثلما سارت الأمور في الاتجاه الخاطيء في كل من ايران وأفغانستان، وهي تسير أيضاً في الاتجاه الأكثر خطا في سورية، بدأت تسير مرة أخرى عكس السير الذي أريد من وراء إشعال الأزمة الأوكرانية.

ولا بد من ملاحظة أمر مهم، وهو أن النار الأوكرانية لم تشتعل من تلقاء نفسها، إذ كان هناك مخطط يادي الوضوح لإشعالها. فرغم العديد من التنازلات التي قدمها الرئيس الأوكراني يانوكوفيتش، استمرت التظاهرات ضده في التصاعد. وبلغت ذروتها بعد ساعتين من توقيع اتفاق بين الطرفين ـ المعارضة والحكومة ـ رعته دول الاتحاد الأوروبي، وجرى التوقيع عليه من الطرفين تحت إشرافهم في 21 شباط، وتضمن موافقة يانوكوفيتش على إجراء تعديلات دستورية توزع بموجبها السلطات بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، كما تضمن التعهد بإجراء انتخابات رئاسية باكراً قبل نهاية العام. لكن التظاهرات الصاعدي لرئيس الأوكراني المنتخب شرعا وبطريقة ديمقراطية، عادت لتفجر بعد ساعتين فحسب من توقيع الاتفاق، وتخللها عمليات قنص أدت الى وفاة نحو سبعين شخصا.

وعندما وجه اللوم إلى المعارضة على تنكركم للاتفاق والعودة الى التظاهر والعنف، برروا ذلك بأن الرئيس الأوكراني لم ينفذ تعهداته بتعديل الدستور. وكان ذلك المبرر يشكل مهزلة واضحة كشفت عن وجود نوايا مبيتة يرجح أنها بتشجيع أميركي ـ أوروبي. فكيف يتم تعديل دستور دولة ما خلال ساعتين، مع أنّ الدعوة إلى اجتماع المجلس النيابي بصفته مجلساً دستورياً، كانت تقتضي لالتامه بعض الوقت وربما أياماً. فاجتماع كهذا، وقرار دستوري كهذا، لا يعقل أن يتمّا خلال ساعتين.

ومع ذلك، فإن خطأ الدول الأوروبية التي رعت الاتفاق وأشرفت على الوصول اليه، بعدم ردها المعارضة على سلوكها ذاك، أكد وجود مطامع مبيتة لديها، من دون أن تدرک حجم عواقب عملها ذاك، لعلها مقدرّة أن روسيا الاتحادية سوف تستسلم للأمر الواقع الذي كان يتم تغييره على الأرض الأوكرانية، وأن تلك الدول سوف تجني خيرات ذاك التغيير المفروض بأساليب القوة والعنف. لكن الرياح لم تات كما تشتهي السفن.

فعلى الصعيد الاقتصادي، فإن السوق الأوكرانية قد تكون فيها بعض المنافع لأروبا، لكنها في إلى تمويل أوكرانيا بغية تغطية العجز المالي لديها والمقدر بثلاثة وثلاثين مليار دولار سنوّه دول أوروبا بها، بعدما تحملت في السنوات الأخيرة أعباء العجز المالي في اليونان وقبرص واسبانيا، في وقت تستبعد فيه إمكانية سرعة ضم أوكرانيا إلى الاتحاد الأوروبي، خاصة في الوقت الراهن.

في مقابل المنافع العائدة من اكتساب السوق الأوكرانية كسوق جديدة لمصانعها، فإنها ستدفع ثمنا باهظا يتمثل في خسارة الغاز الروسي الذي يزود مصانعها بثلاثة وثلاثين في المائة من حاجاتها من الوقود، إضافة إلى خسارة السوق الروسي الذي يستورد ثلث حاجاته من دول أوروبا، وخاصة من ألمانيا، مع قدرة روسية على استبدال استيرادها من الدول الأوروبية الى دول مجموعة «البريكس» التي هي عضو فيها، وتتشكل من دول صناعية كثيرة منها البرازيل، الصين، الهند، إندونيسيا وبلدان أخرى. أما على الصعيد العسكري، فإن روسيا الاتحادية كسرت عن أنيابها وأقدمت على خطوات فاجت أميركا والدول الغربية، عندما قامت باسترداد شبه جزيرة القرم، بل وحشدت قواتها على الحدود الشرقية لأوكرانيا حيث أكثرية السكان من الروس، بل المحت الى اعتمامها بالمواطنين الروس الموجودين في دول أخرى ضمن القبة الحديدية، مثل لاتفيا وأستونيا وليتوانيا حيث يقطن هناك نحو مليون وسبعمئة ألف مواطن روسي، إضافة إلى غيرها من الدول التي كانت تشكل جزءاً من الاتحاد السوفياتي السابق وكانت مواطنين روسيا، ما شكل تلميحاً إلى إعادة بناء الاتحاد السوفياتي بقيادة رأسمالية.

هكذا تحول الاعتراض، بل والقلق الأميركي والغربي، من ضم شبه جزيرة القرم إلى روسيا، إلى سعي إلى إقناع الاتحاد الروسي بعدم دخول شرق أوكرانيا والتخلي عن فكرة حماية المواطنين الروس في الدول التي تضم ضمن رعاياها عدداً كبيراً من المواطنين ذوي الانتماء الروسي. فكالموقف الروسي المتشدد المنصرف كصاحب حق، وكقطب قوي في عالم متعدد القطب، كشف ليس عن رفضه الأمر الواقع الذي حاولت أميركا وحلفاؤها من الدول الأوروبية

## آراء

والضغط على الحكومة السورية. كما أنّ الأردن الذي تعيش حكومته على فضلات الغرب لم يقصّر في معنى المصطلجة بأمثالهم من أبناء الجنوب، وأصبح معسكرهم سوقاً لتجارة الرقيق الأبيض لأمرء الخليج وشيوخه. أما لبنان فهو الأقل نفعاً بسبب استقباله لمئات الألوف الذين يشكلون عبئاً على الشعب اللبناني نتيجة وقوف فثة لبنانية مع تخريب سورية وهي بلدهم الأم وانتفاعهم من هذا التخريب، وقد تقلب الوجود المسلح السوري على أجزاء من الأرض اللبنانية مشكلة يصعب حلها وتجرّ البلد إلى فوضى عارمة يعجز الكل عن ضبطها والتحكم بتفاصيلها خدمة لارتباطات عربية وخارجية، عندئذ تحين ساعة الندم حين لا يفيد الندم.

الجيش السوري لا يقصف أهله لا بالسلاح الكيماوي ولا بسلاح عادي، وهو الأكثر حرصاً على سلامتهم. الجيش السوري يعمل على إجلاء المدنيين وتخليصهم من أيدي العصابات ليتمكن من القضاء عليها. ويوماً فآخر تتكشف الحقائق بعد استسلام كثير ممّن تمّ التغرير بهم، ليعلنوا حقيقة أنّ العصابات ذاتها هي من يستهدف الأيمن ويقدم المعلومات المفبركة إلى المحطات الإعلامية الوالغة في دماء السوريين، وأنّ استخدام الكيماوي ضدّ المدنيين والجيش على حدّ سواء تمّ بتشجيع وتمويل خارجي وعلى يد العصابات التكفيرية، أما التخوّف الشعبي في عالم الغرب من انقلاب هؤلاء وعودتهم، أو من بقي منهم إلى أعمال التخريب والإرهاب في عالم الديمقراطية والحرية الكاذبة من أمر مشفروع، وسيشرب هؤلاء من كأس بمرارة الحنظل، مزجوها بأيديهم لبشره شعب سورية. لكنهم سيبتوّقوته قريباً، وإنّا لمنتظرون هذا القريب.

فرضه فحسب، بل أكد أيضاً رفضه المخطط الأميركي بالتوجه نحو ضمّ أوكرانيا كخطوة لاحقة الى حلف «الناتو» تمهيداً لاحتوائها ضمن مخطط القبة الحديدية المشكّلة من مجموعة من الصواريخ المتطورة تحمي دول «الناتو» من خطر هجوم مفاجئ، إضافة الى تجاهل الروس توقعات أميركية بتنازلات روسية في مواقع نزاع أخرى كسورية مثلاً.

قالب الروسي الذي نزع رئيسه بوتين عن نفسه جلد الدب البطيء في تحركه، وارتدى ثوب الثعلب سريع التقلّب والحركة، في حين غلّف لافروف، وزير خارجيته، نفسه برداء الذئب، أكد أن روسيا مستعدة لكل شيء إلا تقديم التنازلات، لا على الصعيد القديم ولا على الصعيد السوري، مع احتمالات بالهجوم على شرق أوكرانيا لتحرير المواطنين الروس من الحكم الأوكراني إذ لم تجر الأمور على هواها.

على ضوء ذلك، كان طبيعياً أن يتبدل الموقف الأميركي من المضي بفرض مزيد من العقوبات على روسيا، إلى مفاوضات صامتة بالحفاظ على ما تبقى لهم من أوكرانيا، وقد يجري نوع من التبادل الصامت بين الطرفين: لا تهاجموا شرق أوكرانيا، ونحن لا نهاجم سورية، بل وربما لا نزود المعارضة بأسلحة ثقيلة أو متطورة، مع احتمال أن يتم الاتفاق على العودة إلى جنيف على أساس الاتفاق الضمني السابق قبل جنيف 2 بالسعي إلى محاربة الإرهاب قبل كل شيء.

ويغز هذا الاحتمال أن التصريحات التي أدلى بها أثناء زيارة الرئيس أوباما للرياض في نهايات آذار الفائت تضمنت وعوداً بتزويد المعارضة السورية صواريخ أرض جو محمولة لتعزيز موقفها في مواجهة الطيران السوري المنفوق، وتمّ لمسها حديثاً بذريعة المخاوف من وصول تلك الأسلحة إلى أيدي المعارضة الشريرة، أي المزمّمة والمرتبطة به«القاعدة»، واستعيض عنها بوعود تدريية المعارضة المسلحة تدريباً أفضل.

هكذا نلاحظ أن الهدف من إشعال الأزمة الأوكرانية بلا دراسة وافية للعواقب المحتملة، ربما بدأت تعود بالوبال على أوكرانيا والمصنفين لها. فلا تراجع روسيا عن موقفها من تعدد القطب، ولا تراجع عن موقفها من القضية السورية التي يمثل بقاؤها دولة علمانية حديثة مستقرة ضمانة للحفاظ على المصالح الروسية في المنطقة، مع خروج الروس بصيد ثمين هو استعادة شبه جزيرة القرم الذي سيبدأ الغرب تدريجياً تقبله كامر واقع، مقابل تعهد روسي بعدم مهاجمة شرق أوكرانيا، وعدم ملاحقة مطالبها الخاصة بالرعايا الروس في دول الاتحاد السوفياتي السابق، خاصة أولئك الموجودين في الدول الاسكندنافية الثلاث والذين يشكل عددهم نسبة واضحة من السكان.

\* عضو في جمعية الدراسات الاستراتيجية الفلسطينية (Think Tank). عضو في مجموعة (لا للتدخل الأميركي والغربي) في البلاد العربية. عضو في ديوان أصدقاء المغرب. عضو في رابطة الصداقة والأخوة اللبنانية المغربية. عضو في لجنة الشعر في رابطة الكتاب الأردنيين. عضو في جمعية الكتاب الإلكترونيين الأردنيين. عضو في اتحاد دول المقاومة: إيران، العراق، سورية ولبنان. عضو في تجمع الأحرار والشرفاء العرب (الناصريون). عضو في مشاهير مصر. عضو في منتدى العروبة وفي مجموعات أخرى كثيرة.